[160] إنما كان مالك يجد ريح الرسول في مجلس ابن بنته.. ويحس، أو يكاد يلمس، شيئا ماديا، يتسلسل من الجد لحفيده، وأشياء غير مادية تملك اللب والقلب: فالرؤية متعة والسماع نعمة. والجوار - مجرد الجوار - تأديب وترييب.. وفي كل أولئك طرائق قاصدة إلى الجنة. وصاحب المجلس طهر كله. لا يتحدث عن جده إلا على الطهارة. يقول (الوضوع شطر الإيمان) ومن أجل ذلك لم يعد الوضوء عنده أو في مذهبه، مجرد وسيلة لغيره - أي للصلاة - بل أمسى مستحبا لذاته كالصلاة المستحبة. يتهيأ به المتوضئ لدخول المساجد، وقراءة القرآن، بل الزوجان ليلة زفافهما، والمسافر إلى أهله.. والقاضى ليجلس للقضاء، والإمام الذى يفتى أو يعلم. وما هو بدع أن يشغف به مالك - وهو الأموي بهواه - فإنما هو حب الرسول وأهل بيته. فحبهم إيمان. وما كان تعبير مالك إلا حبا، وهو - بعد - التلميذ النجيب لفقهاء بنى تيم (قبيلة أبى بكر) سواء كانوا من مواليهم - كربيعة الرأى - أو من أنفسهم كمحمد بن المنكدر، أو أمهم منهم، كالإمام جعفر. وأبو بكر الصديق يقف في قمة التاريخ العلمي لمصادر مالك باتباعه واجتهاده وأبنائه وبنى تيم.. تعلم مالك الكثير من السلوك على الإمام جعفر فكان إذا حدث لا يحدث إلا على الطهارة. ويحمى مجلسه ممن يخرجونه عن قصده. كما يكرم تلامذته. بل صار إماما لليسر الذى تتمثل فيه خصائص المدينة. وأمسى عنوانا على العلم: فإذا خاصم السلطة خاصمها من أجل النزاهة العلمية فحسب. وفي منهجه الاحتفال الكامل بالواقع. وفي طريقته العمل للرزق، حتى لا يحتاج لأحد، مما يعبر عن اقتداء كامل بالإمام الصادق. وكهيئة الإمام الصادق، لم يجار فقهاء العراق في قولهم أرأيت أرأيت. إى افتراض الفروض واستباق الحوادث وإبداء الرأى فيما لم يحدث حتى سماهم خصومهم (الأرأيتيين). _____